الفصل الرابع

المنجمون والتنبؤ بالغيب

لم يكن للعرب في الجاهلية دراية بصناعة التنجيم، وظلوا على جهلهم بهذا العلم حتى كادت الدولة الأموية أن تنقرض. ونستدل على ذلك أننا لا نجد في أشعار الجاهلية وأخبارها شيئاً يدل على علمهم بهذه الصناعة على وفرة ما جاء في هذه الأشعار والأخبار، من اشتغالهم بالكهانة والقيافة والزجر والطيرة وغير ذلك من أنواع التفاؤل والتشاؤم. على أن العرب الذين استقروا خارج الجزيرة العربية بعد أواسط القرن الأول قد قالوا بتأثير الكواكب في السعد والنحس على الأخلاق.

ومهما يكن من الأمر فقد شاعت النجامة منذ الماضي السحيق عند قدماء الشرقيين. ويعتبر الكلدان أساتذة العالم في علم النجوم فهم الذين وضعوا أسسه وأقاموا بنيانه، وقد ساعدهم على ذلك صفاء سمائهم وجفاف هوائهم فرصدوا الكواكب وعينوا أماكنها ورسموا الأبراج ومنازل القمر والشمس وحسبوا الكسوف والخسوف بآلات فلكية منذ أكثر من أربعين قرناً خلت.

وقد أخذ عنهم هذا العلم اليونانيون والأشوريون والمصريون وغيرهم من أهل الحضارات القديمة. وفي القرن الخامس قبل الميلاد أغار الفرس على الكلدان وفتحوا بلادهم واستبدوا بهم فثقل ذلك على الكلدان فهاجر كثيرون منهم إلى البلاد المجاورة لهم وخاصة بلاد العرب التي

كانت ملاذاً للمهاجرين من العراق ومصر والشام وذلك لامتناعها على الجيوش المغيرة بسبب فيافيها القفراء.

وكان في جملة المهاجرين إليها جماعة من الكهان وأصحاب النجوم فتعلم العرب منهم أحكام النجوم وأخذوا عنهم أسماءها كما عرفوا منهم مواقع الأبراج ومناطقها ومنازل القمر والشمس. وعلى الجملة فإن العرب مدينون بعلم النجوم للكلدان وهم يسمونهم الصابئة.

ولم يكن للتنجيم شأن عند العرب إلا منذ قيام الدولة العباسية، ولعل أول من اهتم بالتنجيم والنجوم هو أبو جعفر المنصور الذي أمر بترجمة الكثير من كتب هذا الفن. وقد سار خلفاؤه على منواله وأصبح للتنجيم شأن كبير عندهم بحيث كان المنجمون فئة من موظفي الدولة كما كان الأطباء والكتاب والحساب ولهم الرواتب والأرزاق. وكان الخلفاء يستشيرون المنجمين في كثير من الأمور الإدارية والسياسية، فكانوا إذا خطر لهم أمر ذو شأن وخافوا مغبته استشاروا المنجمين، فينظرون في حال الفلك واقترانات الكواكب؛ ثم يشيرون بموافقة هذا العمل أو عدمه.

ويعرف التنجيم عند العرب بأسماء مختلفة، فهم يسمونه أحياناً علم أو صناعة النجوم، وأحياناً علم أو صناعة الأحكام، وسماه البعض علم النجامة. ويطلق على المشتغل بعلم النجوم أو التنجيم الإحكامي، أو المنجم وإن كان اللفظ الأخير يطلق أيضاً على الفلكي.

وقد انعقد إجماع المتكلمين والفقهاء والفلاسفة على غنكار التنجيم. وشذ عن هؤلاء قلة من أمثال الكندي وإخوان الصفاء وفخر الدين الرازي.

ومن أقوال المنكرين لهذا العلم أنه ليس في معرفة الكائنات قبل وقوعها صلاح لإنسان من الناس، لأن في ذلك تنغيصاً للعيش واستجلاباً للهم واستشعاراً للخوف والحزن والمصائب قبل حلولها.

ويقول المؤيدون إن الإنسان إذا علم ما يكون من حادث في المستقبل أو كائن بعد، أمكنه أن يدفع عن نفسه بعضها لا بأن يمنع ويدفع كونها، ولكن يتحرز منها أو يستعد لها كما يفعل سائر الناس، ويستعدون لدفع برد الشتاء بجمع الدثار، ولحر الصيف بأخذ السكن، ولسنى الغلاء بالادخار، ولمواضع الفتن بالهرب منها والبعد عنها، وترك الأسفار عند المخاوف وما شاكل ذلك، مع علمهم بأنهم لا يصيبهم منها إلا ما كتب الله لهم وعليهم. ذلك بالإضافة إلى أن الناس متى علموا بالحوادث قبل كونها، امكنهم أن يدفعوها قبل نزولها بالدعاء والتضرع إلى الله والتوبة والإنابة إليه بالصوم والصلاة والقربان، وسؤاله أن يصرف عنهم ما يخافون نزوله، وبهذا نزلت الديانات وسنت الشرائع.

ومن وجوه الإنكار أن النووي وهو أحد الأئمة المجتهدين وقد توفى عام ١٦١ للهجرة لقى المنجم اليهودي "ما شاء الله" وكان صاحب حظ قوي في سهم الغيب والإخبار بأمور الحدثان، فقال له: أنت تخاف زحل وأنا أخاف رب زحل، وأنت ترجو المشترى وأنا أرجو رب المشترى، وأنت تغدو بالاستشارة، وأنا أغدو بالاستخارة فكم بيننا ...؟

ويذهب المؤيدون لهذا العلم أن من نظر في هذا العلم وفكر في سعة هذه الأفلاك وسرعة دورانها وعظم هذه الكواكب وعجيب حركاتها وأقسام

هذه البروج وغريب أوصافها تشوقت نفسه إلى الصعود إلى الفلك والنظر إلى ما فيه وليس هذا ممكناً بهذا الجسد الثقيل الكثيف، ولكن النفس إذا فارقت هذه الجثة ولم يعقها شيء من سوء أفعالها أو فساد آرائها استطاعت أن تصعد في لمح البصر إلى عالم الأفلاك، وبغير هذا تبقى تحت فلك القمر سائحة في مقر هذه الأجسام المستحيلة المتضادة تارة من الكون إلى الفساد إلى الكون. والنظر في هذا العلم يعين على الترقي إلى ما هو أشرف وأجل فهو ينبه النفس من نوم الغفلة ورقدة الجهالة.

وقال منكروه إن أحكام هذا العلم وإن لم تبطل من أساسها فإنها لا تصح بأسرها وليس هذا بالهين اليسير، وصحتها وبطلانها تتوقف على آثار الفلك. وقد يقتضي شكل الفلك في زمان ما، ألا يصح من أحكام النجوم شيء وإن غاص أهلها على وقائعها وبلغوا إلى أعماقها.

ويرد على ذلك المؤيدون بقولهم إن الصناعة لا تبطل ولا تكون أدلتها فاسدة، لأن أهلها يتعرضون للأخطار في استدلالاتهم، فعلم النجوم وأدلته صحيحة وحق، وإن أخطأ أهله في بعض استدلالاتهم أو أكثرها. لأن الله هو الذي نصب الأشخاص الفلكية وأجراها مجاريها وقد جعله الله معجزة لإدريس النبي، وكذلك الطب وصناعته، فإن دلالته صحيحة، وقد يصيب الأطباء ويخطئون في قضاياهم باستدلالاتهم التي نصبوها في أكثرها، فلا تبطل صناعة الطب من أجل ذلك، وهكذا أيضاً الفقهاء والحكماء، وأهل الفتوى في أحكام الدين من الحلال والحرام، قد يصيبون أو يخطئون في قضاياهم واستدلالاتهم التي نصيبها لهم الباري من آيات

كتبه المنزلة. فخطؤهم وزللهم لا يبطل العلم والصناعة والأدلة المنصوبة، ولكن التقصير والعجز موكولان الإنسان لنقصه عن التمام.

وعلى الرغم من أن أدلة خصوم التنجيم ودعاة الاستخفاف به، تبدو أقوى من حجج أنصاره ومؤيديه، فإنها لم تذهب بنفوذه في قصور الخلفاء والسلاطين وعند عامة الناس على السواء. وقد ظل هذا النفوذ قائماً حتى القرن الغابر حين أتى عليه قيام الحضارة الغربية عامة ومذهب كوبر نيكوس المتوفى عام ١٥٤٣ بوجه خاص. ومن أجل هذا ظل قائماً في البلاد التي لم تغزها الحضارة الغربية، وإن افتقد جلاله الذي كان له في العصور الوسطى. ومن الملاحظ أن قضاة اليمن كانوا لا يزالون صناعة أحكام النجوم حتى عهد قريب بل لا تزال له آثار باقية في تلك البلاد حتى اليوم.

ومهما يكن من الأمر فقد كان للمنجمين مكانة ممتازة في بلاط السلاطين والخلفاء. وقد جاء في كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان أن الحجاج بن يوسف حين حضرته الوفاة، استدعى منجماً وقال له: هل ترى في علمك ملكاً يموت؟ قال المنجم نعم ولست هو، لأن الذي يموت اسمه كليب، قال الحجاج إنه أنا والله "بذلك سمتني أمي" وكتب وصيته.

وقد كان جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين، يدني المنجمين من حضرته ويستشيرهم في أموره، وكان نوبخت الفارسي يصحب المنصور ولما ضعف عن خدمته طلب إليه هذا إحضار ولده ليأخذ مكانه، فسير له ولده أبا سهل.

ويذكر المؤرخون أن المنصور لما حج حجته التي توفى فيها، رافقه

من المنجمين أبو سهل، بل إن المنصور حين هم ببناء بغداد عام ١٤٥ هـ وضع أساس المدينة في وقت اختاره نوبخت المنجم وما شاء الله بن سارية، وأن الذين هندسوا المدينة كانوا في حضرة نوبخت وإبراهيم بن محمد الفزاري والطبري من المنجمين.

ونستدل من هذا ومن روايات أخرى كثيرة أن بعض الحكام والخلفاء كانوا يعتقدون في صحة أقوال المنجمين. وليس من شك أن هذا الاعتقاد لم يتكون إلا بعد أن خبروا المنجمين وتبينت صحة أقوالهم وتنبؤاتهم في أحوال كثيرة.

وإذا كان المنجمون قد صدقت نبوءاتهم في بعض الحالات فإن هناك روايات تدلنا على عدم تحقق نبوءاتهم في أكثر الحالات؛ من ذلك اتفاقهم عندما تم بناء مدينة بغداد عام ١٤٦ هـ أن طالعها يقضي بأنه لا يموت فيها خليفة. وشاع ذلك حتى هنأ الشعراء به المنصور حتى قال بعض شعرائه:

يهنيك منها بلدة تقضي لنا ... أن الممات بها عليك حرام
لما قضت أحكام طالع وقتها ... أن لا يرى فيها يموت إمام

وأكد هذا القول في نفوس الناس موت المنصور بطريق مكة ثم المهدي بما سبذان ثم الهادي بعساباذ ثم الرشيد بطوس. فلما قتل بها المأمون الأمين بشارع باب الأنبار ظهر فساد قول المنجمين ولذلك قال الشاعر:

كذب المنجم في مقالته التي ... نطقت به كذباً على بغدان
قتل الأمين بها لعمري يقتضي ... تكذيبهم في سائر الحسبان

وقد مات ببغداد جماعة من الخلفاء مثل الواثق والمتوكل والمعتضد والممكتفى والناصر وغيرهم.

ومن ذلك اتفاق المنجمين عام ٣٥٣ هـ عندما أراد القائد جوهر بناء مدينة القاهرة، وكان قد سبق مولاه المعز إلى الدخول إلى الديار المصرية لما أمره المعز بدخولها بالدعوة، وأمره إذ دخلها أن يبني بها مدينة عظيمة تكون نجوم طالعها في غاية الاستقامة ويكون بطالع الكوكب القاهر وهو زحل أو المريخ على اختلاف حاله. فجمع لقائد جوهر المنجمين بها وأمر كل واحد منهم أن يحقق الرصد ويحكمه وأمر البنائين ألا يضعوا الأساس حتى يقال لهم ضعوه وأن يكونوا على هيئة من التيقظ والإسراع حتى يوافقوا تلك الساعة التي اتفقت عليها أرصاد أولئك الجماعة، فوضعت الأساسات على ذلك في الوقت الحاضر وسموها بالقاهرة إشارة إلى الكوكب القاهر، واتفقوا كلهم بأن الوقت الذي بنيت فيه يقضى بدوام جدهم وسعادتهم ودولتهم؛ وأن الدعوة لا تخرج فيها عن الفاطمية وإن تداولتها الألسن العربية والعجمية. فلما ملكها أسد الدين شيركوه بن شادي، ثم ابن أخيه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ومع ذلك المصريون قائمون بدعوة العاضد عبد الله بن يوسف، توهم الناس أن ما قال المنجمون من قبل حقاً لتبدل اللسان وحال الدعوة مستبقي. فلما رد صلاح الدين الدعوة إلى بني العباس انكشف الأمر وزال الالتباس وظهر كذب المنجمين حتى اعتذر من اعتذر منهم بأن البنائين كانوا قد سبقوا الرصادين إلى وضع الأساس.

وقد وقف بعض علماء المسلمين من التنجيم موقفاً وسطاً فلا هو بالمؤمن به ولا هو بالمنكر له، من ذلك ما حكاه التنوخي في كتابه نشوار المحاضرة من أن أبا محمد عبد الله بن عباس الرامهرمزي المتكلم أخبره قال: أردت الانصراف من عند أبي على الجبائي – وهو من كبار المتكلمين – إلى بلدي فجئته مودعا فقال لي: يا أبا محمد لا تخرج اليوم فإن المنجمين يقولون إن من سافر في مثله غرق فأقم إلى يوم كذا وكذا فإنه محمود عندهم فقلت: أيها الشيخ مع ما تعتقده في قولهم كيف تجيء بهذا؟ فقال: يا أبا محمد لو أخبرنا مخبر ونحن في طريق أن فيه سبعاً أليس كان يجب في الحكمة علينا ألا نسلك ذلك الطريق إذا قدرنا على سلوك غيره وإن كان ممن يجوز عليه الكذب؟ قلت: نعم. قال: فهذا مثله، وقد يجوز أن يكون الله تعالى أجرى العادات بأن تكون الكواكب إذا نزلت هذه المواضع حدث كذا والأخذ بالحزم أولى. قال: فأخرت خروجي إلى اليوم الذي قاله.

ولقد سبق أن ذكرنا أن علم التنجيم كان مزدهراً في العالم القديم وخاصة عند البابليين والأشوريين وفي الهند ومصر والصين واليونان وروما، ولكنه تدهور حتى كاد يتلاشى في أوروبا بظهور المسيحية. غير أن الفتح الإسلامي لأوروبا في القرنين التاسع والعاشر قد أعاد لهذا العلم مكانته في القارة الأوروبية حتى أنه كان يعتبر في عهد دانتي من أسمى العلوم وأنبلها. وكان هناك منجم خاص لكل ملك أو أمير في أوروبا يستشيره في كل أموره؛ فلا يقدم على عمل إلا بعد أن يقرأ له المنجم الطالع. بل والأكثر

من لك أن بعض البابوات أنفسهم كانوا من المشتغلين بالتنجيم نذكر منهم البابا سلفستر والبابا يوحنا العشرين ويوحنا الحادي والعشرين وجوليوس الثاني وكليمنت الثامن وغيرهم. ولقد تنبأ مارسيليو فسينو **Marsillio Ficino** منجم دوق فلورنسه المعروف باسم لورنزو العظيم بأن واحداً من أولاد هذا الدوق – وهو جيوفاني ده مديسي – سوف يعتلى الكرسي البابوي. ولما اعتلى جيوفاني هذا الكرسي البابوي تحت اسم ليو العاشر أصبح راعياً للمنجمين ونصيراً لهم.

ونجد أن عالماً دينياً كبيراً وفيلسوفاً من أشهر فلاسفة العصور الوسطى وهو توماس الأكويني يعلن أن الأجرام السماوية هي السبب في جميع أحداث هذا العالم الدنيوي.

والواقع أن كل واحد في العصور الوسطى كان يعتقد في التنجيم على الرغم من الأخطاء التي وقع فيها كثير من المنجمين. إن المنجمين الأوروبيين الأول من أمثال كوبرنيكوس وتيخو براهه وكبلر، بل إن إسحاق نيوتن مكتشف قانون الجاذبية كانوا جميعاً من المهتمين بدراسة "العلم القديم" أي التنجيم كما كان يعرف في ذلك الوقت. ويقال إن إسحاق نيوتن عندما التحق بجامعة كمبردج عام ١٦٦٠ – وكان عند ذاك في السابعة عشرة من عمره، سؤل عما يريد أن يدرسه بالجامعة فقال: أريد دراسة الرياضيات لأني أرغب أن اشتغل بالتنجيم.

ولم يكن رجال الكنيسة أقل تعلقاً بالتنجيم من العلمانيين. فقد أصيب رئيس أساقفة كنيسة القديس اندروز بإنجلترا بمرض أعيا نطس

الأطباء الإنجليز فأرسل في طلب المنجم الرياضي المشهور جيروم كاردان من أوروبا عام ١٥٥٢. وقد قرأ هذا المنجم طالع الأسقف وكشف عن مرضه وعالجه حتى برئ. ولما انتهى المنجم من مهمته قال لرئيس الأساقفة: " لقد استطعت أن أبرئك من علتك ولكني لا أستطيع أن أغير من مصيرك، ولا أن أحول دون رأسك وحبل المشنقة". وحدث بعد ذلك بثمانية عشر عاماً أن شنق هذا الأسقف بأمر من لجنة التحقيق التي أنشأتها ماري كوين الوصية على عرش اسكتلندا.

وعلى الرغم من ذلك فقد وقع المنجمون في أخطاء عديدة جسيمة منها تلك التنبؤات التي جعلت أهل أوروبا يبنون الفلك استعداداً للهرب من الطوفان الجديد الذي سوف يحل بالعالم كما قال المنجمون. وذهب المنجمون أيضاً في العصور الوسطى إلى أن نهاية العالم سوف تكون في عام ١٥٨٤ وأكد هذا القول ليوفتيوس **Leovituis** منجم بلاط الأمير هنري أمير البلاتينات؛ الذي قال إن الكواكب تنبئ بأن العالم سيفنى في عام ١٥٨٤. بل إن كبلر كبير المنجمين والفلكين في عصره قرأ الطالع للجنرال ولشتين عام ١٦٠٩ وأنبأه بأنه سوف يعيش حتى يبلغ السبعين من عمره ولكن ولشتين قد مات قبل ذلك بنحو تسعة عشر عاماً.

ومن المؤكد أيضاً أن كثيراً من تنبؤات المنجمين قد تحققت، مثال ذلك ما ذكره المنجمون عن ذلك الطوفان الحربي الذي اجتاح العالم في القرن الثالث عشر. ففي ذلك القرن ألقى زعيم إحدى القبائل الرحل التي تقطن السهوب الشاسعة الواقعة إلى الشمال والغرب من الصين الرعب في قلوب

الناس. فقد اجتاح هذا الزعيم بخفة وسرعة لم يسبق لها مثيل في تاريخ العالم بلاد آسيا وقهر دوق روسيا الأكبر وقضى على ملكه وعاث في بلاده فساداً.

كان اسم هذا الزعيم "جنكيز خان" ولم يكن أحد في العالم في ذلك الوقت يعرف شيئاً عن هذا الزعيم الذي انقض على العالم كالصاعقة أو القضاء المحتوم. لقد كانت دعوات الناس في صلاتهم في ذلك الوقت "اللهم نجنا من غارات أهل الشمال". لقد كان هذا الفاتح الجبار في الواحد والأربعين من عمره عندما خرج في حملته التاريخية الهائلة وكانت إمبراطوريته التي كونها بحد السيف تمتد من المحيط الهادي حتى نهر الدنيبر.

ولعل القارئ يسأل وما صلة ذلك التنبؤ بالغيب الذي هو موضوع هذا الكتاب؟ إن لذلك صلة وثيقة كما سنذكر فيما يلي:

في مستهل عام ١١٧٩ وجد كثيرون من المنجمين أن الطوالع تدل على أن كارثة هائلة سوف تحل بالعالم وبالإنسانية ورأوا أن من واجبهم أن ينبهوا العالم إلى هذا الخطر الذي على وشك الحدوث، فكان سكان أوروبا أجمعين ينظرون إلى المستقبل نظرة ملؤها الخوف والوجل، لأن المنجمين ذكروا أن هذه الكارثة سوف تحل عام ١١٨٦. ولم يكن هذا الخوف مقصوراً على أهل أوروبا وحدهم بل كان شائعاً في جهات أخرى غير أوروبا. فالشاعر والمنجم الفارسي "أنوري" قد تنبأ بعاصفة كاسحة في السادس عشر من شهر سبتمبر عام ١١٨٦، لأن اجتماع خمسة كواكب في برج الميزان في تلك الليلة هو الذي دفع أنوري إلى التنبؤ

بهذه النبوءة على الرغم من أن الليلة التي قال عنها أنوري أن عاصفة كاسحة قد حدثت فيها كانت ليلة هادئة.

وقد سخر أنوري من نفسه لهذا القول أو التنبؤ ولكن تبين بعد ذلك أن جنكيز خان زعيم التتر الذين اجتاحوا العالم قد ولد في تلك الليلة التي قال عنها أنوري وعلى ذلك تكون نبوءة أنوري صحيحة وإن لم يفهم مدلول هذه العاصفة الكاسحة في حينه.

ومن المؤكد أيضاً أن كثيراً من تنبؤات المنجمين قد صدقت وتحققت، من ذلك أن بيكودلا ميراندولا وهو من أشهر علماء عصر النهضة في إيطاليا وكان من المتعصبين ضد التنجيم والمنجمين حتى نعته البعض بأنه نقمة المنجمين، قد تنبأ له ثلاثة من المنجمين أنه سيموت وهو في الثالثة والثلاثين من عمره. وكان من أمر هذه النبوءة أن تحققت بالضبط كما قال هؤلاء المنجمون إذ توفى بيكو في اليوم بل وفي الساعة التي تنبؤا بها؛ فكان ذلك أكبر نصر المنجمين الذين حاربهم بيكو طوال حياته.

وهناك منجم آخر يدعى بيير دللى Pierre d'Ailly قد تنبأ بالفترة العصبية التي سوف تمر بها فرنسا ابتداء من عام ١٧٨٩ وكان ذلك قبل حدوثها بأربعمائة سنة.

وقرأ أحد المنجمين الإيطاليين ويدعى جوليانو دل كارمن الطالع للدوق السندرو ده مديسي أول دوق لفلورنسة، فوجد أن هذا الدوق سوف يُغتال وأن الذي سيغتاله هو ابن عمه لورنزاشيو. ورأى المنجم أن من واجبه أن يخبر الدوق بذلك على الفور، ولكن الدوق استخف بقول

المنجم وابتسم لهذه المخاوف التي تساوره فقد كان أهل فلورنسة أجمعين يحبون الدوق ويلتفون حوله. ورأى أحد حراس الدوق أيضاً في منامه ان الدوق قد اغتيل على يد رجل ضعيف قميئ حتى إن صورته قد علقت في مخيلته. وفي الصباح قص الجندي هذا الحلم على سيده وفي أثناء ذلك دخل لورنزاشيو على الدوق فصاح الجندي، هذا هو الرجل الذي شاهدته في منامي فما كان من الدوق إلا أن صرف الجندي بعد أن أنبه على هذا القول. وفي نفس ذلك اليوم قتل لورنزاشيو الدوق أثناء صعوده درجات الكنيسة.

وفي عام ١٤٦٠ نشر جون كابسترانو كتاباً بعنوان "علم الفلك" ذكر فيه هذه النبوءة التالية وقال إنها ستحدث عام ١٦٢٢:

"إن أسد نصف الليل الأكبر سوف يخرج من عرينه ولكنه لن يرجع ثانية إليه وإن يكن قد قام بما فرض عليه. سوف يقول كثيرون من يعدون أنفسهم من الذين أوتوا الحكمة "إنه لا يستطيع ذلك" ويقول آخرون "ألم نخبركم بذلك مقدماً؟ أما الذين سوف يقاسون أكثر من غيرهم فسيتجاهلون الأمر وينظرون إلى هذا الأسد على اعتبار أنه ديك لا يخشاه أي صقر. ومهما يكن من الأمر فإن هذا الأسد سوف يزأر في عام ١٦٢٢ بصوت عال بحيث تهتز له الأرض ويفزع منه جميع البشر".

وقد تحققت هذه النبوءة في عام ١٦٣٢ إذ خرج في ذلك العام جوستاف أدولف أسد السويد وكان له الشأن الأكبر في حرب الثلاثين سنة. وهو المدافع الأكبر عن المذهب البروتستانتي وأوقع الهزيمة بكل من

الجنرال تيلي Titty والجنرال وولنشتين Wallenstein وهما من أشهر قواد آل هابسبورج المدافعين عن المذهب الكاثوليكي. ولم تكن السويد ولا أية دولة أخرى من الدول الإسكندنافية لها أي شأن يذكر في التاريخ الأوروبي في عام ١٤٦٠ وهو العام الذي نشر فيه كابسترانو نبوءته المذكورة.

والمعروف أيضاً أن تيخو براهة Tycho Brahe (١٥٤٦ – ١٦٠١) أعظم الفلكيين في القرن السادس عشر كان يعتبر كذلك من أعظم المنجمين، فقد كرس حياته للتنجيم وهو لا يزال في الرابعة عشرة من عمره. وكان ينظر إلى الفلك والتنجيم على اعتبار أنهما شيء واحد وكان هذا هو رأى الكثيرين من علماء ذلك العصر. لقد اضطر تيخو إلى دراسة التنجيم سراً لأن أبواه كانا يرغبان في أن يصبح ولدهما محامياً. وتمكن تيخو في عام ١٥٧٧ – وكان لا يزال شاباً من أن يضحد نظرية أرسطو التي كانت متحكمة في العقول زماناً طويلاً ومؤداها أن السموات محدودة ومحاطة بدائرة صلدة. وقد وصل إلى ذلك بدراسة المذنب الذي ظهر في ذلك العام. بل لقد كان تيخو في السابعة عشرة من عمره فقط عندما تنبأ في عام ١٥٦٣ بالطاعون الكبير الذي اجتاح أوروبا عام ١٦٦٥، وقد قال السير دافيد بروستر David Brewster وهو من أعظم علماء القرن التاسع عشر أن تيخو لا يتفوق عليه أحد من الفلكيين سواء في العصر القديم أو العصر الحديث.

لقد تنبأ تيخو هذا أيضاً بمجيء جوستاف أدولف وذلك من ملاحظته لنجم جديد ظهر في برج ذات الكرسي Cassiopia عام

١٥٧٢. فقد ذكر أن أميراً شجاعاً على وشك الظهور وسوف تبهر جيوشه ألمانيا بأسرها ولكنه سوف يختفي هو نفسه عام ١٦٣٢. والمعروف أن جوستاف أدولف لم يولد إلا عام ١٥٩٤ وقد قتل عام ١٦٣٢ في موقعة لوتزن.

وكان في بلاط الملكة إليصابات ملكة إنجلترا منجم يدعى جون دي John Dee وفي ذات يوم استدعى هذا المنجم على عجل لأن جلالة الملكة كانت تريد أن تستوضح منه عن بعض الأمور التي تشغل بالها. لقد ذكر منجم شاب يدعى جولد ماير أن جوستاف أدولف سوف يفقد حياته في لوتزن عام ١٦٣٢. وكانت الملكة إليصابات هي وحاشيتها يهمها موت جوستاف هذا الذي أصبح خطراً يهدد ملكها ولكنها لم تكن تثق في قول هذا المنجم الشاب. ولكن لما توفى جوستاف فعلاً في عام ١٦٣٢ في لوتزن أصبح هذا الشاب منجماً شهيراً وكافأه الملك فرديناند الثالث وقربه إليه.

فليس بعجيب إذا أن نرى الملوك والأمراء في أوروبا في ذلك العهد يحتفظون في بلاطهم بالمنجمين ويحيطونهم بمظاهر التكريم والتبجيل والتعظيم ويستشيرونهم في كل أمر هام. فنجد أن رودلف الثاني إمبراطور النمسا كان شديد الرغبة في أن يكون تيخو براهة منجمه الرسمي لذلك استدعاه إلى بلاطه ومنحه راتباً ضخماً وأرضاً يستغلها وابتنى له مرصداً خاصاً زوده بجميع آلات الرصد. وكان رودلف هذا يزهو بأن لديه الجداول الرودلفية وهي الجداول الفلكية التي وضعها

تيخو وأصبحت تحمل اسم رودلف وكان الفلكيون يستعملونها بكثرة في ذلك الوقت. وقد سمح رودلف لمنجمه تيخو أن يستعين بكبلر Kepler في أبحاثه الفلكية وهو الرجل الذي ذاع صيته في الفلك بعد ذلك حتى كادت شهرته تغطي على شهرة تيخو براهة.

وجون كبلر هذا من أعظم الفلكيين الذين ظهروا في العالم كما كان أيضاً من أعظم المنجمين. ولقد تنبأ كبلر هذا بمقتل وولنشتين ولكنه أخطأ في تحديد التاريخ بالضبط. وهو كفلكي قد وضع القوانين الفلكية التي تنسب إليه وهي التي مكنت بعد ذلك السير إسحاق نيوتن من الكشف عن قانون الجاذبية. على أن هذا الفلكي قلما كان يخطئ كمنجم في تنبؤاته. فقد ذكر في تقويمه الفلكي لعام ١٦١٩ أن الإمبراطور متياس سوف يموت في شهر مارس من ذلك العام. وقد توفى بالفعل هذا الإمبراطور في العشرين من شهر مارس سنة ١٦١٩.

وكان كبلر إذا قرأ طالع فرد من الأفراد فكأنه يرسم له صورة واضحة دقيقة وكانها بريشة المصور العالمي رمبرانت. لقد قرأ كبلر طالع دوقة فريدلاند (زوجة ولنشتين) ولم يكن قد رأى هذه السيدة من قبل ولكنه ذكر وصفاً دقيقاً لمنظر هذه الدوقة ولصفاتها المميزة لها ولمزاجها الخاص كل ذلك بشكل دقيق للغاية، الأمر الذي دفع ولنشتين أن يتخذ من كبلر منجماً خاصاً له. وكان معنى ذلك في تلك الأيام أن يأخذ هذا المنجم راتباً ضخماً ويقطن في منزل أنيق ويستمتع بوافر العناية والتكريم. على أن هذا الحظ الذي واتى كبلر قد جاءه متأخراً لأن كبلر قد توفى بعد ذلك بسنتين.

لقد كان الأمراء والحكام في أوروبا يطمحون في أن يكون لكل واحد منهم منجم مثل كبلر إذ ما معنى الحياة في نظرهم دون منجم ماهر ينبئهم بما ستأتي به الأيام من أحداث؟. ففي عام ١٦٢٠ تقدم السير هنري واتون سفير جيمس الأول ملك إنجلترا إلى كبلر بعروض سخية ولكنه أخفق في سفارته ولم ينجح في إغراء هذا الفلكي الشهير على الذهاب إلى إنجلترا إذ آثر كبلر العوز على أن يعيش في بيئة غريبة عليه في كل شيء.

على أن إنجلترا كانت في الوقت الذي رفض فيه كبلر أن يذهب إلى هناك تمهد لمنجمها الخاص. فإنه في نفس العام الذي قابل فيه السير هنري واتون المنجم كبلر وعرض عليه الذهاب إلى لندن – وفد على هذه المدينة شاب قوى البنية من أهل الريف. وكان في ذلك الوقت في الثامنة عشرة من عمره على حظ قليل من العلم وعلى دراية باللغتين اليونانية واللاتينية وقد جاء إلى لندن سعياً وراء الرزق. واشتغل هذا الشاب في بداية أمره في بعض المهن الحقيرة ثم جرته الصدفة بعد ذلك إلى الاتصال بالدكتور سيمون فورمان Simon Forman وكان من المشتغلين بالعلوم لخفية فحبب هذا العالم للشاب وكان يدعى ليللي Lilly دراسة التنجيم، وتزوج هذا الشاب بعد وفاة أستاذه من أرملته وكانت على حظ من الثراء فتمكن من دراسة التنجيم على يد بعض المشتغلين بهذا العلم.

وقد أخذ هذا الشاب منذ عام ١٦٤١ ينشر تنبؤاته التي قابلها المثقفون في ذلك الوقت بالضحك والسخرية ولكن كثيراً ممن علية القوم الإنجليز كانوا يذكرون بعد ذلك تنبؤاته بالإعجاب ومن بينهم شارل الأول وكروميل، بل كان

ليللي هذا في وقت من الأوقات يعتبر المنجم الخاص لكروميل.

ومن الأسباب التي ادت إلى شهرة ليللي هذا تنبؤه بالطاعون الأعظم وبحريق لندن الشهير. ومن المعروف أن البرلمان الإنجليزي عندما أخذ يبحث عن أسباب حريق لندن الهائل الذي حدث عام ١٦٦٦ استدعت اللجنة القائمة بهذا البحث ليللي وسألته ما إذا كان تنبؤه هذا قائماً على علمه بمؤامرة كانت تدبر لهذا العمل أم قائماً على حسابات فلكية. وقد أقنع ليللي اللجنة أنه تنبؤه هذا كان قائماً على حسابات فلكية دون غير. وأخذ ليللي هذا يصدر التقاويم الفلكية التي نال بسببها شهرة فائقة وحصل من ورائها على ثروة كبيرة.